# جهود الخلوة السودانية في ترسيخ القيم الاسلامية

## مملكة سنار (نموذجاً)

**الدكتور/ محمد عبد الله موسى ابراهيم**

**أستاذ مساعد بكلية الدعوة الإسلامية**

**جامعة أم درمان الإسلامية - السودان**

mohamad.ama1971@gmail.com

## □الإطار العـــــام للبحث

**مقدمة**: □ □ □

تمثل مملكة سنار مرحلة مهمة في التاريخ الإسلامي إذ جاءت في وقت كانت الحاجة فيه ماسة لبعث الأمل في نفوس المسلمين بصورة عامة ولا تخفى هذه الحاجة بالنسبة للداخل السوداني على سبيل الخصوص، ومما لا شك فيه أن الجهود الكبيرة والمتعاظمة بالنسبة لمملكة سنار والمتمثلة في التوجه الإسلامي أسهمت بصورة كبيرة في تعزيز الثقافة العربية والإسلامية في المجتمع السوداني.

وفي هذا البحث آمل أن أوفق في إبراز الجهود الدعوية والعلمية للخلوة السودانية انطلاقاً من بيان وإبراز أثرها في ترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع السناري.

**أولا**:**أهمية البحث** : تكمن أهمية البحث في تناوله لفترة زمنية مهمة من تاريخ السودان، بالإضافة إلى أن الخلوة برسالتها التي عرفت بها صارت جزءً من مؤسسات التشكيل الثقافي بالمجتمع ولذا كان من المهم الوقوف على تجربتها وملاحظة أثرها في ترسيخ القيم الإسلامية.

**ثانيا**: **أهداف البحث :** تهدف الدراسة لتحقيق الآتي:-

1- الوقوف على الجهود الدعوية لمملكة سنار

2- التعريف بالخلوة وبيان مكانتها في المملكة السنارية باعتبارها مركزاً للتعليم

3- إبراز أثر الخلوة في ترسيخ القيم الإسلامية.

**ثالثا**: **مشكلة البحث**:

إن مشكلة البحث تنبثق من أهمية الموضوع المراد معالجته ويمكن طرح المشكلة انطلاقاً من الأسئلة الآتية:-

1- ما الجهود الدعوية لمملكة سنار ؟

2- ما مكانة الخلوة في مملكة سنار؟

3- ما الأثر الذي أحدثته الخلوة في مجتمع سنار؟

**رابعا**: **حدود البحث**:

تقتصر الدراسة على الخلوة السودانية في مملكة سنار(910-1237هـ 1054- 1821م)

**خامسا** : **مصطلحات العنوان**:

إن بعض المصطلحات الواردة في العنوان تقتضي التوضيح والبيان والمصطلحات هي:-

أ- **الخلوة**: المقصود بالخلوة في هذه الدراسة تلك المدارس التي كانت مقر تعليم وتدريس القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية في عهد سلطنة سنار.

ب- **السودانية** : كلمة السودانية هي نسبة إلى السودان[1]، والسودان كمصطلح تم التوافق عليه لم يظهر إلا في فترة الحكم التركي المصري للسودان أي بعد استيلاء محمد علي باشا على السودان في العام( 1237هـ - 1821م)[1]، أما في هذه الدراسة فالمقصود به مملكة سنار الإسلامية.

**سادسا: منهج البحث**:

يعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي والتاريخي ليصل إلى الإجابـــة على تلك الأسئلة.

**سابعا: هيكلة البحث**:

المبحث الأول: التعريف بمملكة سنار وجهودها في خدمة الإسلام

المبحث الثاني: مكانة الخلوة في مملكة سنار

المبحث الثالث: دور الخلوة في ترسيخ القيم الإسلامية بمملكة سنار

(1) كلمة السودان في العصور الوسطى إبان مملكة الفونج الإسلامية يقصد بها بلاد غربي إفريقيا الممتدة من تشاد شرقاً إلى حوض السنغال على المحيط الأطلسي غرباً، أما سودان وادي النيل فإنه يطلق عليه آنذاك اسم أو مصطلح بلاد النوبة (انظر إسحاق بن الحسين المنجم ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ،عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ ،ص 104و زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت،ص24)

(1) عبد القادر عثمان محمد ،العلاقات السودانية المغربية رؤية من خلال المذهب المالكي، الندوة العلمية الدولية للإمام الباجي ، السودان – الخرطوم – شوال 1435هـ - الموافق أغسطس 2014م. ص 464.

## مستخلص البحث

تناولت في هذا البحث جهود الخلوة السودانية في ترسيخ القيم الإسلامية – مملكة سنار نموذجا- عرَّفت فيه بمملكة سنار وأشرت إلى جهودها في خدمة الإسلام ثم أشرت إلى ملامح من تاريخ الخلوة واهتمام المجتمع المسلم بها نظراً لما توفره من بيئة صالحة للتربية والتزكية من خلال التعلق بالقرآن الكريم حفظاً ومدارسة.

كما أن هذا الوعي بأهمية الخلوة لم يكن غائباً عن قادة مملكة سنار فعملوا على دعم هذه الخلاوى من خلال الترحيب بالعلماء واحترام شيوخ القرآن الكريم الأمر الذي انعكس أثره على المجتمع السناري وظهرت نتائجه في إثراء المعرفة الدينية سواء بالتوسع في إنشاء مدارس التعليم أو التوسع في المادة الدراسية مما زاد من التفاعل الإيجابي مع هذه الخلوات انطلاقاً من تلك القيم الإسلامية.

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها:-

1. أسهمت الخلوة في إثراء الثقافة الدينية وترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع السناري بصورة ملحوظة.
2. أحيت الخلوة في النفوس حب العلم والترغيب في الرحلة لطلبه وتسارعت تبعاً لذلك وتيرة الحركة العلمية
3. صارت الخلاوى مراكز إشعاع ديني وعلمي يتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء السودان

## مدخل وتوطئة

### الهجرات العربية وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية بالسودان

تشير الدراسات إلى أن اتصال العرب بالسودان قديم جداً وأن هجراتهم إليه كانت مستمرة لكن لم يظهر أثر ثقافي لهذا المد العربي في باديء الأمر لأسباب عدة فالمهاجرون هؤلاء لم تكن لهم نزعة وجدانية عاطفية لها قدرة على التأثير الحضاري في المناطق التي نزحوا إليها[1].

لكن ظهر هذا التأثير عندما توحد العرب ثقافياً باكتمال الصيغة المثلى للغة العربية القرشية ثم تعززت هذه الوحدة بنزول القرآن الكريم الذي أسهم في صياغة الانسان العربي فكرياً وعقدياً ووجدانياً، وعلى ضوء ذلك أصبح لهؤلاء العرب إمكانية التغيير الواسع فأحدثوا بعد ذلك انقلاباً هائلاً وتحولاً كاملا في كل المجتمعات التي هاجروا إليها واستقروا بين عناصرها وهم يحملون الثقافة العربية والإسلامية ، وقد انتشر هذه التأثير في مساحات شاسعة فكان منه هذا الوجود العربي الإسلامي في السودان[2].

وقد دخل الإسلام إلى السودان منذ وقت مبكر فالآثار الإسلامية توضح أن السودان من الشعوب الأولى التي عرفت الإسلام بدليل أن أول مسجد ابتناه المسلمون في السودان هو مسجد دنقلا سنة 31هـ في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه .[3]

ونتيجة لذلك تكونت الصلات التجارية والثقافية بين الدولة الإسلامية ومملكة النوبة وازدادت هذه الصلات واتسع مداها بعد ذلك انطلاقاً من الاتفاقيات التي نصت على احترام مقدسات المسلمين واستطاع المسلمون أن يشقوا طريقهم باتجاه (البجة)أيضاً حيث أسلم بعضهم وصار ولاؤهم تابعاً للدولة الإسلامية، وقد دلت بعض الكشوف الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية وعلى وجود مساجد في سنكات، الأمر الذي يدل على وجود إسلامي قديم بالمنطقة[4]. وقد كان للهاربين من الضغط السياسي في البلاد الأخرى شأن يذكر في نشر الثقافة العربية في السودان حيث كثرت الفتن السياسية منذ قيام بني أمية ، وكانت أفريقيا ملجأً هاماً يهربون إلى بقاعها المختلفة ويتيهون في مجاهلها البعيدة السحيقة.[4]

---

(1) مجلة دراسات أفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة أفريقيا العالمية، دار جامعة أفريقيا العالمية العدد20 يناير 1999ص 123

(2) المصدر نفسه ص 123

(3) الطيب محمد الطيب ، المسيد ،دار جامعة الخرطوم ،1991م ص 84

(4) مجلة دراسات أفريقية، مصدر سابق ص 125

(5) محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن، ط الخامسة،2012م ص 2 الخرطوم ، السودان. وعبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص 29

ومما يدلل على أن السودان تأثر باتجاهات الهاربين من الضغوط السياسية والمذهبية أن العلاقات بين السودان والدولة الفاطمية (298هـ) لم تكن ودية، الأمر الذي يشير إلى أن خصوم الفاطميين اتجهوا نحو السودان في الوقت الذي كانت فيه مصر وأفريقيا الشمالية كلها تحت حكم هؤلاء الفاطميين، ولعل هذا يعطي تفسيراً بأن السودان ظل في جوهر عقيدته الإسلامية بعيداً عن التعاليم الشيعية الصريحة فكان أول ما عرفه أهل السودان عقيدة أهل السنة فتمسكوا بها، وعملت جهود المهاجرين على تعزيز هذه العقيدة والذود عنها.[1]

وفي مقدمة رواد الثقافة العربية في السودان نجد هؤلاء الدعاة الذين ضحوا في سبيل الدعوة الإسلامية ،وبذلوا في ذلك جهداً كبيراً ، ولا يستبعد أن يكون من بينهم من شق طريقه إلى السودان لبث الدعوة الإسلامية ، وفي ذات الوقت لا يمكن تجاهل دور بعض المجموعات المستعربة من بقايا الجيوش المحاربة وغيرهم فقد كان لهم فضل كبير أيضاً في نشر الثقافة العربية والإسلامية في السودان[2].

ولا يخفى أن الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا كان لها أثر واضح في دخول الإسلام إلى غرب السودان، ومن الطبيعي أن يتصل المد الإسلامي بالسودان عن طريق الأفراد والجماعات المهاجرة من تلك الممالك إذ لم تكن هناك حواجز تمنع حركة المد أو تحد منه ، فقد جاءت مجموعات من قبيلة بني هلال إلى دارفور حينما كانت الوثنية مطبقة على ربوعها، وبفضل تلك الهجرات المتتالية تحولت دار فور كلها إلى الإسلام[4] .

وقد بلغت هذه الهجرة إلى السودان ذروتها عندما اشتركت بعض القبائل العربية في الحملات العسكرية المملوكية ضد بلاد النوبة المسيحية كما تبعتها هجرات أخرى بعد اضمحلال نفوذ ملوك النوبة السياسي، ونتيجة لتزايد النفوذ العربي الإسلامي صارت الأسرة المالكة مسلمة تجري في عروقها دماء عربية بعد أن كانت نوبية مسيحية. واكتملت عناصر هذا الحدث الهام إثر استقرار بعض المجموعات العربية واختلاطها وتزاوجها مع العناصر المحلية[4].

ومن الواضح أن السلوك العام للعناصر العربية المهاجرة للسودان كان يتميز بالتواصل الإيجابي ومحاولة الامتزاج بالسكان والاندماج فيهم عن طريق التزاوج والمعايشة اليومية، وقد

---

(1) عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص 29

(2) المصدر نفسه ص 29و34

(3) مجلة دراسات أفريقية، مصدر سابق ص 128

(4) محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن، مصدر سابق، ص 2

استفاد العرب من هذه الظاهرة فقد آل إليهم حكم الممالك والسلطنات بحكم الأعراف المحلية المتعلقة بشؤون الحكم والتي تدعو للتداول السلمي للسلطة عن طريق القرابات والرحم.[1]

## المبحث الأول: التعريف بمملكة سنار وجهودها في خدمة الإسلام

### المطلب الأول : ملامح من تاريخ نشأة مملكة سنار

يلاحظ بأن مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية الخاصة بالمجتمع السوداني قبل الفترة التي سبقت قيام مملكة سنار كانت تتمثل في وجود بعض المشيخات الإسلامية، ولا شك بأن أهم أثر لهذه المشيخات يظهر في زيادة نشر تعاليم الدين الإسلامي بين أهل البلاد، وبالرغم من هذا فإن عدم استقرار الأحوال الأمنية وكثرة النزاع بين القبائل أدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية وتفشي الاضطراب في المنطقة ،ولهذه الأسباب ظهرت الحاجة إلى إنشاء حكومة مركزية تخضع لها شتى الجماعات والقبائل المتنازعة وذلك لإقرار الأمن وحماية طرق التجارة القديمة [2]. ومن ثم تحالف زعيم الفونج مع زعيم عرب القواسمة في إدارة شؤون البلاد على أن يكون عمارة دنقس زعيم الفونج هو القائد ويكون عبد الله جماع نائباً له[3].

وبهذا نشأت مملكة سنار في العام (910هـ - 1504م)م عقب تدهور وسقوط الممالك المسيحية في السودان وسيطرت على رقعة كبيرة من سودان وادي النيل ، وقد تعاقب على عرشها نحو خمس وعشرين سلطانا وكان سقوطها على يد الجيش التركي المصري بعد مدة تزيد قليلاً على القرون الثلاثة .[4]

وترجع طبيعة نشأة مملكة سنار إلى ذلك الحلف الذي كان عبارة عن تحالفات شعبية بين القبائل العربية والزعامات الدينية وذلك لضمان صرح سياسي أشمل وحياة أفضل من خلال تأمين النشاط الاقتصادي[5].

---

(1) المصدر السابق ، ص 129

(2) مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية،1960م ص205

(3) يوسف فضل حسن، تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، معهد البحوث والدراسات العربية 1971م ص 43

(4) المصدر نفسه ص 66

(5) أبو شفعة مفتاح علي الطرشاني، السلطنة الزرقاء في السودان الشرقي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية غير منشورة 1998 ص 250

لقد أدى قيام سلطنة الفونج إلى تطور مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع السوداني بصورة ملحوظة ،وتبعاً لهذا التطور أصبحت البيئة مناسبة وملائمة بالتحول نحو الإسلام ممن بقي على النصرانية الأمر الذي مكن من نشر تعاليم الدين الإسلامي بين أهل البلاد[1]

**المطلب الثاني: جهود مملكة سنار في خدمة الإسلام**

تأسيساً على ما تقدم فإن قيام سلطنة الفونج في هذا التاريخ يكشف أن هذه السلطنة كان لها الأثر الكبير في تحديد معالم الهوية الدينية للمجتمع السوداني بفضل وقوفها ودعمها للجهود الدعوية التي تمثلت في الحركة العلمية والفكرية للعلماء الوافدين والذين قدموا من مصر والحجاز والمغرب وكانوا خليطاً من الفقهاء والمتصوفة إلا أن الطابع العلمي كان أغلب على الذين وفدوا من مصر بينما تميز الأثر الحجازي بغلبة المبادئ الصوفية، وساعد المغرب في إثراء كل من الأثرين السابقين[2].

وقد تميزت هذه المرحلة من تاريخ الدعوة الإسلامية بظهور طبقة من الفقهاء ورجال الصوفية الذين تعهدوا بأساليب جديدة قامت أساساً على شرح تفاصيل الدعوة ومبادئها للناس ونهيهم عما يتعارض من عاداتهم ومعتقداتهم مع الإسلام[3].

وأحسب أن هذا التنوع في جماعة العلماء أوجد نوعاً من التوافق الكبير خاصة أن منهج التلقي المتمثل في المدرسة الفقهية كان يجمع بين هذه المجموعات الوافدة إلى حد كبير وبفضل هذه الجهود أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرئيس في مملكة سنار[4] ولا يعني هذا أن السودان لم يعرف المذاهب الفقهية الأخرى بل كان هناك انتشار محدود للمذهب الشافعي والحنفي في منطقة سواكن بشرق السودان ،لكن من الواضح أن تعدد الجهات التي دخل منها المذهب المالكي لها أثر كبير في التمكين للمذهب وأن حلقات التدريس التي انتظمت أجزاء واسعة من البلاد عملت على سيادته .

واللافت في تاريخ هذه الحركة العلمية أنها كانت خالية من الدعوة إلى البدع العقائدية والآراء المنحرفة ،ومن ثم سلم المجتمع من لوثة الحركات الفلسفية والجماعات الباطنية وبهذا يتضح أثر

---

(1) مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مصدر سابق ص 305

(2)محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن، ص 4،ط الخامسة،2012م الخرطوم ، السودان.

(3) مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مصدر سابق ص 211

(4)عبد القادر عثمان أحمد ،العلاقات السودانية المغاربية رؤية من خلال مسيرة المذهب المالكي ،ورقة علمية مقدمة في الندوة الدولية للإمام الباجي 2014م.

سلطنة الفونج في خدمة الإسلام انطلاقاً من دعم الدعاة الربانيين الذين عرضوا الإسلام من خلال منابعه الأصيلة ومصادره الصحيحة، وعلى ضوء ذلك جرى العمل في القضاء والإفتاء في مملكة سنار وفقاً للمذاهب الفقهية التي تلقتها الأمة بالقبول ، وقد أدى ذلك إلى تميز المجتمع السوداني بالهوية السنية والمحافظة عليها.

وتشير المصادر أن السلطة العثمانية عندما بدأت تهتم بتأمين حدودها الجنوبية أقامت قواعد في كل من سواكن ومصوع، وخشي زعيم الفونج وقتها من هذا الامتداد العثماني من ناحية البحر فبعث إلى الباب العالي يذكر له أن دولته إسلامية، ويقال إن السلطان العثماني اقتنع بصحة ما تضمنته الرسالة فعدل عن حرب سنار[1].

ولعل العدول عن المواجهة كان نتيجة اطلاع من السلطان العثماني على تلك الجهود الدعوية التي قامت بها سلطنة الفونج في خدمة الإسلام والتي أوجدت بها صورة مشرقة بعثت الاحترام والتقدير في السلطة العثمانية.

ومن الجهود العظيمة لمملكة سنار أن طبيعة الخطاب الدعوي الذي كان سائداً والقائم على الإقناع والأسلوب الروحاني المتمثل في جهود الطرق الصوفية بالإضافة إلى الانسجام والتعاون الكبير بين العلماء والسلاطين أوجد نوعاً من النجاح أسهم في تغلغل الدين الإسلامي بمملكة سنار[2].

ولا يخفى دور هذا الخطاب في تصحيح المفاهيم العقدية وترسيخ القيم الأخلاقية وإحياء معاني التدين في المجتمع وبسبب ذلك اتجه الناس نحو حياة مستقرة بعيدة عن الحروب والانقسامات الداخلية وعصمت السلطنة بهذا التوجه دماء المسلمين وحفظت حرماتهم انطلاقاً من زيادة الوعي الديني وبسط القيم الخلقية في المجتمع .[3]

## المبحث الثاني :الخلوة في مملكة سنار

### المطلب الأول: ملامح من تاريخ الخلوات في السودان قبل قيام مملكة سنار

تمثل الخلوات بيئة روحية ومحضن تربوي أصيل في قيمه ومنطلقاً لتزكية وجدانية قوامها التواضع والزهد والاجتهاد والمثابرة على الحفظ واكتساب العلم مع مشقة ليست مطلوبة في

(1) مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مصدر سابق ص205

(2)أبو شفعة مفتاح علي الطرشاني، السلطنة الزرقاء في السودان الشرقي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية غير منشورة 1998 ص 248

(3) مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مصدر سابق ص217.

ذاتها ولكن من باب الأخذ بالعزيمة والتعلق بها بغية الوصول إلى مخرجات نافعة تتمثل في جيل صالح انطلاقاً من هذه البيئة الطيبة.[1]

والخلوة القرآنية بهذا المفهوم تعد مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية فقد برزت إلى الوجود بعد انتشار الدين الإسلامي إذ أن فكرة الخلوة في أصلها مرتبطة بالتعليم والعبادة ومن الطبيعي أن تكون عملية هذا الانتشار في مختلف البقاع مصحوبة ببناء المساجد وإعمارها لأهمية ذلك في إثراء الثقافة العلمية وتعزيز الاصلاح الاجتماعي ، وإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن الخلوة القرآنية نتجت عن هذا الارتباط الوثيق بين المعرفة الدينية والسلوك العملي باعتبار أن نظام الخلوة يعد امتداداً طبيعياً للمسجد ووظيفته.

ونظراً للحاجة المتعلقة بتعليم الصغار فقد أوجد المجتمع المسلم أماكن لتعليم الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلامي واهتم بها اهتماماً ملحوظاً لكونها تمثل مرحلة بالغة الأهمية في مسيرة التربية وتحصيل العلم إلى جانب حفظ الهوية الثقافية للأمة، وقد تأتي الإشارة إليها في التراث الإسلامي بأكثر من اسم تبعاً لما اصطلح عليه أهل كل بيئة فقد شاع اسم الكتاتيب أو الكتّاب والخلوة والمحضرة والمدرسة القرآنية وكلها مفردات تتشابه في المصطلح المقصود[2] وفي السودان تطلق كلمة (المسيد) على مكان التعلم التقليدي إذا اجتمعت فيه أمور ثلاثة هي المصلى والتدريس والسكن، ولا يسمى المكان مسيداً إلا إذا كانت الخلوة هي محور نشاطه [3].

وتأسيساً على هذا فإن نشأة الخلوة القرآنية في السودان كانت مرتبطة بتاريخ ظهور الدعوة الإسلامية فيه حيث يقوم مفهوم الخلوة في الذهنية السودانية على معاني التربية والتعليم إلى جانب التزكية والخدمة[4] وكلها من المعاني التي يحرص المسلمون على بسطها في المجتمع انطلاقا من بناء المساجد والاهتمام بها اقتداء بالنبي ﷺ فقد كان أول ما قام به بالمدينة بناء المسجد، وذلك لتظهر فيه شعائر الإسلام ،ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين وتنقي القلب من أدران الأرض، وأدناس الحياة الدنيا.[5]

وبالنظر لواقع الدعوة الإسلامية في المجتمع السوداني في بداية عهده بها يتبين أن الحراك الدعوي كان مقتصراً على فئة التجار والمهاجرين العرب ثم تعزز هذا الحراك بصورة أكبر من

---

(1) وزارة الإرشاد والأوقاف – جمهورية السودان الأوراق العلمية للملتقى الدعوى الرابع للوزراء المختصين بالدعوة يناير 2011م، ص5.

(2) أحمد علي الإمام ،الخلوة والعودة الحلوة، شركة مطابع السودان للعملة، ص14

(3) الطيب محمد الطيب ، المسيد ،دار جامعة الخرطوم ،1991م ص 37.

(4) أحمد علي الإمام ،الخلوة والعودة الحلوة، مصدر سابق ص 69

(5) محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1427 هـ

خلال تدفق القبائل التي كانت تبحث عن المرعى[1].مما يدل على أن أولئك المهاجرين كانت تغلب عليهم البداوة وهو ما يشير إلى أن أمر الدعوة والتعليم ظل ضعيفاً نوعا ما، وبطبيعة الحال لا يُشك في أن من بين هؤلاء المسلمين الوافدين حفظة قرآن وعلماء لكن لم يتبين أثرهم أو يتضح أمرهم لأن كل ما دون عن رجال الدين في السودان قد جاء متأخراً واعتماداً على الذاكرة[2].

والذي تشير المصادر إليه أن أحد الدعاة يسمى غلام الله بن عائد اليمني وفد إلى السودان وكان من أمره أن وجد البلاد ينتشر فيها الجهل والضلال بسبب افتقارها للعلم والعلماء فعمد إلى تعليم أبنائه وابناء المسلمين تلاوة القرآن الكريم انطلاقاً من إنشائه خلوة كبرى بمنطقة دنقلا وكان هذا في أخريات مملكة المقرة النوبية النصرانية في حوالي سنة 870هـ.(2)

وبعض الروايات الشفهية المتواترة تشير إلى أن تدريس القرآن الكريم سابق لهذا التاريخ حيث تفيد الروايات أن الحاج عيسى بن قنديل هو من أسس الخلوة وبدأ تدريس القرآن الكريم في عهد المملكة النصرانية في وقت سابق لغلام بن عائد ،وارتبط اسم الحاج عيسى بن قنديل بالتاريخ الديني في السودان حيث رحل إلى الحجاز وتلقى العلم هناك ثم رجع إلى بلده (الدامر) وابتدأ بنشر الثقافة الإسلامية، وفي رواية أخرى أن العبابسة بمنطقة الرباطاب بدأوا التدريس على أيام النوبة في الفترة المشار إليها أو بعدها بقليل وكذلك الحال في كردفان ودار فور، ورواية أخرى تفيد بأن حمد أبو شميلة المحسي كان سابقاً لهؤلاء إذ أنشأ في حوالي سنة 800هـ خلوته بقرية سقادي بمنطقة المحمية[2].

ولعل الروايات التي تؤكد أسبقية الشيخ غلام بن عائد بتدريس القرآن الكريم بدنقلا العجوز تشير إلى الدراسة المنظمة إذ أن الروايات تكاد تجمع على أن هذه البداية المنظمة كانت في أخريات أيام حكم النوبة النصارى .[4] ولا يتعارض هذا الرأي مع الروايات الأخرى التي تشير

---

(1) كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل ، مطبعة الحياة الجديدة، السودان ط الخامسة 2012م ص2

(2) محمد ابراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت 1992، ص 23.

(3) الطيب محمد الطيب، المسيد ،دار جامعة الخرطوم ،1991م ص 77 وقيصر موسى الزين، فترة انتشار الإسلام والسلطنات، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان الأهلية ص60

(4) الطيب محمد الطيب ، المسيد ،دار جامعة الخرطوم ،1991م ص 77

(5) المصدر نفسه 77

إلى جهود سابقة في هذا المجال. وهذه نماذج أخرى لبعض الخلاوى كانت معروفة قبل قيام مملكة سنار وهي:[1]

1- خلوة الغريبة بديار الشايقية: وقد أسسها الشيخ علي حاج بلال البديري الدهمشي سنة 888هـ

2- خلوة الفلاليت البكرية : مؤسسها الشيخ عبد الباسط بن الحاج محمد بن الحاج القرشي البكري الذي قدم إلى أوسلي سنة 658هـ وبنى خلوته وأوقد نار القرآن الكريم.

3- خلوة الشريف حمد أبو دنانة : مؤسسها الشريف حمد أبو دنانة بن الشريف محمد بن الشريف أحمد توفي في سنة 960هـ .

يضاف إلى هذا أن أولاد عون الله وهم سبعة قد قاموا بنشر العلم وتحفيظ القرآن واستمروا في ذلك حتى قيام دولة الفونج الإسلامية، وقد شغل أحدهم وهو المسمى الضرير منصب القضاء الإسلامي زمن الدولة المسيحية ، وكان جدهم يقوم بمهمة نشر المعرفة الإسلامية ولا زالت قبور أولئك العلماء ظاهرة في منطقة (أبو حليمة) شمال الخرطوم.[2] وفي ذات السياق نجد أن مدينة (أربجي) التي أسسها الشيخ حجازي بن معين قبل سنار بثلاثين عاماً كانت حاضرة علم وثقافة وفها أنا س صالحون ومدارس علم وقرآن[3].وفي جهة الحلفايا كان هناك الشيخ البندراوي قبل قيام مملكة سنار حيث يقوم بتحفيظ القرآن وتدريس العلوم الشرعية والعربية وقد أخذ عنه علماء كثيرون [3]

والذي يستفاد من هذا أن تعلم القرآن الكريم و دراسة العلوم الشرعية كانت معروفة إلا أنها ازدهرت في مطلع القرن العاشر الهجري على عهد الدولة الإسلامية المعروفة بالسلطنة الزرقاء وقد كان حكامها يهتمون بالعلم وأهله انطلاقاً من اعطائهم الرواتب للعلماء ومنحهم الأراضي للشيوخ والاحتفاء بهم الأمر الذي جعل لهؤلاء مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع. [4].

---

(1) فاطمة أحمد علي ، منطقة مروي المظهر والجوهر ، الصفحات174و181و182

(2) مجلة دراسات أفريقية، مصدر سابق ص 133

(3) أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوطة كتاب الشونة، تحقيق الشاطر بصيلي، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،ص31

(3) المصدر نفسه ص133

(4) الطيب محمد الطيب ، المسيد ،دار جامعة الخرطوم ،1991م ص 78

**المطلب الثاني: مكانة الخلوة القرآنية في العهد السناري**

تشير المصادر إلى أن أواسط القرن الخامس عشر وجدت بعض المظاهر الدعوية بنواحي النيل الأزرق ولا يستبعد من أن يكون أحفاد الداعية غلام الله بن عائد قد انتقل بعضهم من دنقلا إلى جهات النيل الأزرق حيث أنشأوا المساجد للعبادة والتدريس[1].

وهذا هو المظنون من حال هذه الأسرة التي وجدت حظاً من العلم فمن الجائز أن يكونوا قد توارثوا هم الدعوة الإسلامية مع الحث على ضرورة القيام بها بحكم الاستعداد العلمي الذي كان يميزهم إلى جانب أن النفس الإنسانية غالباً ما تنزع إلى التفاخر بأمجاد الأسلاف وأعمالهم النافعة الأمر الذي يعد دافعاً قوياً بالنسبة للأحفاد للمحافظة على هذا الإرث العظيم من خلال التوسع في نشره والعمل على رعايته والافتخار به وتدل الأحداث اللاحقة بشأن الخلوة أن القيام بحقها ورعايتها وخدمة أهلها من الشرف الذي يتوارث عبر الأجيال.

وفي مطلع القرن العاشر وقيام مملكة سنار تعزز هذا النشاط الدعوي وتتابع الاهتمام به بصورة كبيرة تبعاً للفلسفة الحكيمة المتعلقة بشؤون الحكم والادارة لقادة السلطنة، وصار النشاط الدعوي من ضمن اهتمامات السلطة بعد فترة طويلة كانت حركة الدعوة تقتصر على الجهود الفردية المحدودة. ومن ضمن تلك السياسات أن الأساليب والوسائل التي اتبعها قادة السلطنة في نشر الإسلام كانت سلمية[2] تجلى ذلك في احترام العلماء وتبجيلهم والترحيب بوفادتهم.

ومن الأمثلة الدالة على الصحوة العلمية في أوائل العهد السناري ما كان من أمر الهجرة إلى مصر حيث أصبحت مقصداً لطلاب العلم، واشتهر من هؤلاء محمود العركي الذي عاصر دولة الفونج في بداية أمرها، وقد تلقى العلم على شيوخ مصر ثم عاد وأسس بعض المدارس، وهو أول من أمر الناس بالعدة وكانت المرأة قبله يطلقها زوجها ثم تزوج في يومها.[3] وهذا يكشف مدى ضعف الواقع الدعوي الذي كان سائداً مما جعل قادة الفونج يرسلون في طلب محمود العركي من مصر ولما قدم وفد عليه آلاف الطلاب وانتشرت العلوم على يديه.[4]

ويبدو أن التحصيل العلمي الذي استفاده محمود العركي أشعره بأهمية الخلوة في الإصلاح ومدى التأثير الذي يمكن أن تحدثه فسعي لأنشاء هذه المدارس لرفع الوعي الثقافي والديني لقناعته بأن إصلاح المجتمع يكون بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والخلق الفاضل ،اقتداء بالمصلحين كما قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ

(1) مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مصدر سابق، ص211.

(2)المصدر نفسه ص211.

(3) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل مصدر سابق ص344

(4) عبد الكريم بن محمود الخطيب، تاريخ جهينة َالطبعة الثالثة : 1418هـ، ص37

رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)[1] . كما أن الخطوة في حد ذاتها تكشف مدى الاهتمام بأهمية التعليم ومعرفة أثره في التغيير ولا شك بأن مثل هذه الرؤية قد توفر لها السند والدعم من قادة السلطنة الذين أثر عنهم دعمهم الكبير للنشاط العلمي والدعوي.

وعلى ضوء هذا الاهتمام اخذت الثقافة الإسلامية في الازدهار في مملكة سنار خاصـــــــة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي" بفضل العلماء الذين ظهروا في هذه الفترة وكانوا من وراء هذه الصحوة العلمية التي أحدثت هذه الرغبة في طلب العلم والتوجه نحوه، وقد عدد صاحب الطبقات[2] جملة منهم حيث أشار إلى (قدوم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى ديار الشايقية ودرس فيها العلم (خليل) و(الرسالة). وانتشر علم الفقه في الجزيرة ثم بعد ذلك قدم الشيخ تاج الدين البهاري من بغداد وأدخل طريقة الصوفية في دار الفنج ثم قدم التلمساني المغربي على الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها، وانتشر علم التوحيد والتجويد في الجزيرة لأنه أخذ عليه القرآن عبد الله الأغبش ...ثم ظهرت ولاية الشيخ ادريس بن الارباب ، وبعده بيسير ظهرت ولاية الشيخ حسن ولد حسونة ..ثم قدم الشيخ محمد بن قرم بدار بربر وأدخل فيها مذهب الِشافعي وانتشر مذهبه في الجزيرة ثم قدمت المشايخة وحطت مدينة الحلفاية ، ثم قدم حمد ولد زروق في الصبابي ثم قدم الشيخ محمد المصري دار بربر ودرس فيها علم التوحيد والنحو والرسالة وانتشر علمه في الجزيرة .ومن بعد هؤلاء قدم الشيخ صغيرون والشيخ عبد الرحمن بن حمدتو من دار الشايقية وقدم الشيخ عبد الرازق أبو قرون من دار الصعيد وبعدهم بيسير قدمت رابعة بنت عبد الرحمن بن جابر وأولادها)(3) وكانوا من الشيوخ العلماء وجميع هؤلاء كانوا ممن جمع بين العلم والتربية الروحية.

وبفضل هذه الصحوة العلمية تطور المنهج الدراسي ليتناسب مع ظروف المرحلة فإذا كان المنهج الدراسي يقتصر على تحفيظ القرآن الكريم في وقت سابق فإن الوقت قد حان للجمع بين تحفيظ القرآن الكريم وتدريس المعارف الإسلامية الأخرى، وكان هذا التوسع النسبي يجمع بين

---

(1) سورة مريم رقم الآيات 54و55

(2) هو كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمحمد النور بن ضيف الله من أوائل وأهم الكتب العربية السودانية التي تؤرخ لعصر الفونج ، وهو يمثل الأساس لما يحويه من كنوز من المعرفة لا غنى عنها لأي دارس لتلك الفترة (انظر يوسف فضل في مقدمة تحقيقه لكتاب الطبقات والتعريف به)

(3) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل ،مصدر سابق ص43

حفظ القرآن ودراسة (الرسالة) و(مختصر خليل) و(ومقدمة السنوسي) في التوحيد، والانخراط في طريق القوم فهذا غاية ما يصبو إليه كثير من المتعلمين[1].

وتبعاً لذلك (انتشرت خلاوي القرآن في السودان انتشارا واسعاً كانت تلاقي رغبة الجمهور في تعليم الأبناء ورغبتهم في البركة ولتطلعهم للخدمات الدينية ومما عاون على انتشارها أن أغلب الذين كانوا ينخرطون في سلك التدريس بادئين بخلاوي جديدة بعيدة عن الخلاوي القائمة) [2].

وقد أفادت الحركة العلمية والدعوية من هذا التحول وغدت الخلوة بمثابة مركز الإشعاع الروحي والثقافي والاجتماعي من خلال جمعها لوظيفة الشيخ والفقيه الصوفي المتمثلة في تدريس مبادئ القراءة وتعليم القرآن والفقه وتنشئة المريدين والصلاة فيها إلى جانب التأمل والانقطاع إلى الله تعالى.[3]

وبناءً على هذا يمكن القول بأن الحركة العلمية في مملكة سنار أخذت في التطور من خلال محاور عدة تجسدت في هجرة الطلاب وتنقلهم بين العلماء داخل حدود السلطنة ثم كان العامل الخارجي المتمثل في الهجرة نحو مصر، وفي ذات الوقت كان يقابل هذه الهجرة وفود من العلماء إلى داخل السودان، وإذا علمنا أن تعلم القرآن وحفظه يمثل القاعدة التي يقوم عليها البناء المعرفي للمسلم فهذا يعني أن سهم الخلوة في هذا الحراك الدعوي كان كبيرا، الأمر الذي يستوجب استدعاء جهود الخلوة وعدم إغفال دورها حال الحديث عن الحركة العلمية والثقافية من حيث الكسب والانتشار في المجتمع السناري.

وإذا جاز لنا الاستدلال باللاحق من أمر الخلوة القرآنية على السابق من عهدها لإثبات مكانتها فإننا نشير إلى الرغبة والحرص في الحفاظ على هذا الميراث الذي أثبت فاعليته في التربية حيث أضحت الخلوات تؤسس في المساجد والمنازل على حد سواء، ولعل هذا يعطي إشارة إلى بركة الجهد الذي قام به العلماء في نشر العلم والوعي الديني في العهد السناري. ويتضح من هذا أن بعض الخلوات المعاصرة يشار إلى أن تأريخ تأسيسها (قبل النصف الثاني من القرن العاشر الهجري في عهد السلطان عجيب المانجولك )[4] .

---

(1) المصدر نفسه ص 5.

(2) محمد ابراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان، مصدر سابق ص24

(3) كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل ، مصدر سابق ص12.

(4) علي أحمد محمد بابكر ،أعلام وأيام ،ج 1،ص 44،ط 1. 2000م ،دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر، ص 45

**نماذج لبعض الخلاوى التي اشتهرت في العهد السناري**

أسهم العلماء في إثراء النهضة العلمية بصورة كبيرة في العهد السناري انطلاقاً من انشائهم المساجد والخلاوى، وتضاعفت مجهوداتهم على مر السنين عن طريق تلاميذهم واتصلت الحركة العلمية هذه بحركة تكوين المجتمعات، وكانت البيئة العلمية والروحية أمراً جاذباً أدى إلى إنشاء القرى والمدن حول هذه المساجد والخلاوى واحتضانها. وعلى ضوء ذلك أخذت الحياة العلمية في سنار تأخذ الطابع المنظم، وقد أدى الاحتفاء بهذا البعد الروحي للخلوة إلى سرعة انتشارها في كثير من بقاع السودان[1].

ومن أمثلة الخلاوى التي كان لها وجود فاعل في العهد السناري خلاوي الركابية التي تنسب إلى السيد أحمد بن عائد المشهور بغلام الله والذي أتى إلى السودان في أوائل القرن العاشر الهجري واستقر في دنقلا، وأسس أول خلوة لتدريس القرآن الكريم وسارت ذريته من بعده في هذا الطريق وأسسوا كثيراً من الخلاوى في مختلف بقاع السودان، وتعد خلاوى البديرية المنتشرة على امتداد منطقة مروي وخارجها من الخلاوى التي كانت لها شهرة واسعة في مجال تعلم القرآن وكذلك كانت خلوة الشريف حمد أبو دنانة والذي قام بتأسيسها الشريف حمد أبودنانة حيث قدم إلى السودان عن طريق مصر، واستقر ببلدة تنقسي بالقرب من دنقلا العجوز، أسس الشريف خلوته وأوقد نار القرآن وأتى إليه العديد من من طلاب العلم والمعرفة وتخرج على يديه العديد من العلماء وقد توفي سنة 960هـ [2] ،واشتهرت كذلك خلاوى الجوير ومؤسسها الشيخ محمود الصاردي في سنة 1062هـ ويعرف المسيد وخلاويه باسم أولاد جابر[3].

ومن خلال تتبع شأن الخلاوى يتضح أن تأسيسها في هذه الفترة من العهد السناري أصبح سلوكاً عاماً لدى كثير من الأسر ففي ببربر ظهرت أسرة الغبش وفي منطقة الشايقية أولاد جابر وفي دار الجعليين نجد المجاذيب وفي منطقة الرباطاب ظهرت أسرة العبابسة، وبعض الروايات تشير إلى أن رهطاً من العبابسة خرجوا من ديارهم مبشرين حتى استقروا في جنوب كردفان ناحية الجبال الشرقية (تقلي) وسميت المنطقة باسم العباسية نسبة لهذه الأسرة[4].

---

(1) دراسات أفريقية مصدر سابق ص 136

(2) فاطمة أحمد علي ، منطقة مروي المظهر والجوهر، مصدر سابق 157

(3) الطيب محمد الطيب ، المسيد، مصدر سابق ص 150

(4) المصدر نفسه ، ص 163

وفي منطقة كردفان ايضاً تأتي الإشارة إلى جهود الشيخ بدوي أبو صفية وابنه الكناني فإنهما كانا يقودان تلامذتهما ويتتبعان الناس في مواقعهم وربما مكث الشيخ معهم مدة ثم يترك لهم من يعلمهم القرآن لينطلق هو إلى غيرهم[1].

أما منطقة الجزيرة والوسط فقد اشتهرت بكثرة الشيوخ والخلاوى وازدهرت الحركة العلمية فيها بصورة ملحوظة إبان العهد السناري، وقد حفل كتاب الطبقات بذكر كثير من الأماكن التي كانت منارات علم وهدى نهل منها كثيرون وجفل إليها الراغبون، ومن أشهر هذه الخلاوى مسيد ود عيسى الذي أسسه الشيخ مضوي بن مدني بن عبد الدائم الأنصاري الخزرجي[2] ويوضح كاتب الشونة أن جهة الجزيرة والنيل الأزرق كان فيها أبناء غلام الله وكانوا سبعة رجال ويشير كذلك إلى انتشار علم التجويد بالجزيرة، الأمر الذي يدل على الاهتمام بتدريس القرآن ومدى انتشار تعلمه بالمنطقة[3].

وتعد منطقة الحلفايا من الأماكن التي اشتهرت بالعلم والعلماء في العهد السناري كذلك فقد اتخذت منها القبائل العربية خاصة نقطة التقاء واستقرار، وتبعا لذلك ازدهرت الحياة الثقافية وظهرت جهود الشيخ البنداري فقد كان لخلوته شأن كبير في تعليم القرآن الكريم إذ كان يرد الناس إليها من أماكن متفرقة[4]. وفي هذه الفترة أيضاً برز جهد الشيخ دفع الله بن محمد الكاهلي، وقد وصفه صاحب الطبقات بالورع والتقوى والسخاء وضيافة الوافدين والانفاق على طلبة العلم مع كونه صاحب خلق حسن، بلغ من حلمه أنه لم يقهر فقيراً من طلبة القرآن ولا فلقه[5] كعادة المقرئين بل يأمره باللطف ولين الكلام[6]

وهذا الاستطراد من صاحب الطبقات في وصف الشيخ وذكر مآثره وبيان كيفية معاملته لطلابه يدل على وجود حركة علمية فاعلة ونشطة وأن المنطقة كان ينشط فيها تعليم القرآن بصورة واضحة.

---

(1) المصدر السابق، ص 238

(2) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل مصدر سابق ص341

(3) أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوطة كتاب الشونة، مصدر سابق ،ص5

(4) عون الشريف قاسم، حلفاية الملوك التاريخ والبشر، دار جامعة أم درمان الإسلامية، الطبعة الأولى ، 1988، ص 117

(5) الفلقة: اسم لخشبة يشد في طرفها حبل يقيد بها الانسان إذا أرادوا ضربه على قدميه ، وهي كلمة عربية فصحى (انظر محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل مصدر سابق ص211)

(6) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل مصدر سابق ص210

**نماذج لبعض الكتب التي كان يتم تدريسها بالخلوة**

يتضح أن الخلوة بالإضافة إلى اعتنائها بتعليم القرآن الكريم تقوم أيضا بالاهتمام بتدريس بعض العلوم الشرعية الأخرى ومن أشهر الكتب التي كان يعكف طلاب العلم ويجتهدون في دراستها الكتب التالية:-

1- كتاب مختصر خليل: من أشهر كتب الفقه المالكي عليه مدار الفتوى في المذهب[1]، ومؤلفه خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المعروف بالجندي. من كبار الفقهاء المالكية. شارك في علوم العربية والحديث والفرائض والاصول والجدل. أقام بالقاهرة، وجاور بمكة. توفي في ربيع الاول سنة 767هـ.[2].

2- كتاب الرسالة : ومؤلفه هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ويقال له: مالك الصغير. وكان أحد من برز في العلم والعمل.[3] وقد وضع كتابه في الفقه المالكي أيضاً جمع فيه كما يقول:(جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الآداب منها وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وطريقته)[4].

3- كتاب الأخضري في الفقه المالكي: لصاحبه عبد الرحمن بن محمد الأخضري من أهل الجزائر توفي في العام 983هـ[5]

4- كتاب متن العشماوية من تأليف الامام عبد الباري العشماوي الرفاعي والكتاب عبارة عن مقدمة مختصرة في مذهب الأمام مالك [6]

5- كتاب متن العقيدة السنوسية ويسمى أم البراهين ، ومؤلفه الشيخ محمد بن يوسف السنوسي من علماء القرن التاسع الهجري[1].

---

(1) انظر خليل بن اسحاق ،مختصر خليل، ص2

(2) الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ،2002 ج2ص 315

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج17 ص10

(4) ابن أبى زيد القير واني، الرسالة ص2

(5) الأعلام ،الزركلي ،مصدر سابق ج 3 ص 331

(6) محمد النور ضيف الله ، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل ، مصدر سابق ص 282

(1) موقع الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

6- كتاب متن الجزرية وهو نظم في أحكام تجويد القرآن الكريم ، ومؤلف المنظومة هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مراراً وهو من علماء القرن التاسع الهجري.[2]

7- كتاب متن الشاطبية: منظومة في القراءات السبع وتعرف أيضا بحرز الأماني ووجه التهاني وناظمها هو الشيخ أبو القاسم القاسم بن فيره ابن خلف بن أحمد الرعيني، الأندلسي، عاش في القرن السادس الهجري[3].

8- كتاب الخرازي: ورد ذكر اسم هذا الكتاب في الطبقات بهذا الاسم في تراجم بعض الشيوخ ، وقد تعرض البروفيسور يوسف فضل له بالقول: لم أهتد لترجمة المؤلف ، لكنه أشار إلى أن الشيخ حمدتو بن الحاج سعيد المناوي كان استاذاً في القراءات السبع يحفظ الشاطبيتين الكبرى والصغرى ويدرس الخراز[4].

وبناءً على هذا فإني أرجح أن يكون كتاب الخرازي هذا يقصد به منظومة (مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن) للشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الأَمَوي الشريشي، الشهير بالخراز، عالم بالقراءات من أهل فاس أصله من شريش توفي سنة 718هـ.[5]

والذي يؤكد هذا الترجيح أن مادة الكتاب تبحث في ضبط كلمات المصحف وكيفية رسمها وفق الرسم العثماني، وإذا ألقينا نظرة تاريخية على عملية رسم القرآن الكريم في المصاحف السودانية نجد أن كتاب مورد الظمآن هذا يعد عمدة نساخ المصاحف في السودان فقد كانوا يعتمدون عليه في نسخ المصاحف[6].

كما أن ورود اسم الكتاب في الطبقات متبوعا بذكر كتاب الشاطبية حال الترجمة لبعض الشيوخ دليل على تكامل المنهج المتعلق بالمادة عند الشيخ، ولا يخفى أن ازدهار الخلاوى والعناية بتدريس القرآن الكريم في هذه الفترة ترجح وجود مثل هذا الكتاب المتعلق بعلم القراءات ورسم المصحف.

---

(2)الأعلام ،الزركلي الدمشقي، مصدر سابق ج7 ص45

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصد سابق ج17 ص10

(4) محمد النور ضيف الله ، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل ، مصدر سابق ص 282

(5) الأعلام ،الزركلي الدمشقي، مصدر سابق ج7 ص33

(6) مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الأول. الموقع الإلكتروني للجامعة .

هذه نماذج لبعض الكتب التي تشير المصادر أنها كانت تدرس إبان العهد السناري ولم يكن الأمر مقتصراً عليها، حيث ورد ذكر تدريس بعض العلوم الأخرى كالمنطق وعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم العربية وغيرها.

## المبحث الثالث: دور الخلوة في ترسيخ القيم الإسلامية بمملكة سنار

### المطلب الأول: القيم الإسلامية التي عملت الخلوة على ترسيخها

لقد استطاعت الخلوة أن تصبح مكاناً تنصهر فيه المجموعات المتباينة في ثقافتها ولغاتها وعاداتها وتقاليدها وقيمها، فهي مكان للعلم من المهد إلى اللحد، أو التعليم مدي الحياة لا تعرف قيداً للالتحاق بها ، فتقبل الصغير والكبير ،وتقبل في كل الأوقات، وتخرّج في كل الأوقات لا تعرف حداً لعدد الملتحقين بها ، ولا تعرف عددا من السنوات للبقاء فيها[1].

وبهذا لم تكن الخلوة القرآنية في المملكة السنارية معزولة عن المجتمع لأن طبيعة المهمة التي تقوم بها جعلت المجتمع يلتف حولها، وقد أوجد هذا نوعاً من التفاعل والتواصل أدى إلى ترسيخ القيم الإسلامية والاحتفاء بها، وسوف أشير إلى بعض القيم التي أرستها الخلوة في المجتمع السناري.

**أولا: قيمة طلب العلم واحترام العلماء**

إن عالم الدين الرباني يمثل دوراً عظيماً في التأثير على المجتمع فمن خلال مظهره وحسن سمته قد يغني تأثيره عن الكتب ولو أقام الناس عشر سنين يتناظرون في معاني الفضائل ووسائلها، ووضعوا في ذلك مائة كتاب، ثم رأوا رجلًا فاضلًا بأصدق معاني الفضيلة، وخالطوه وصحبوه لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة وأجدى على الناس منها، وأدل على الفضيلة من مائة كتاب ومن ألف كتاب[2].

وفي هذا السياق نجد أن النهضة التعليمية التي أحدثتها الخلوة جعلت من التعليم ضرورة اجتماعية ورغبة ذاتية حيث تحول أفراد المجتمع باتجاه التعليم بصورة كبيرة ، وقد ذاعت شهرة بعض المناطق في السلطنة وصارت مراكز إشعاع ديني وعلمي يتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء

---

(1) يوسف الخليفة أبوبكر، بحث (دور الخلوة في التعليم الأساسي) المقدم في مؤتمر سياسات التربية والتعليم ، قاعة الشارقة – الخرطوم، 1990.

(2) مصطفى الرافعي ،الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م ج 3ص 38

السودان حيث تتوفر فيها دراسة أكثر العلوم الإسلامية[1]، ونتيجة لذلك ارتفع المستوى الاجتماعي لمن حقق نجاحاً في هذا المجال، الأمر الذي عزز من قيمة طلب العلم واحترام أهله.

لقد أصبحت شخصية العالم والشيخ لها وجاهة كبيرة داخل السلطنة نظراً للجهود المبذولة في مجال العلم والتعلم فمن الملاحظ أن إعلاء قيمة احترام العلماء وتقدير جهودهم كان على مستوى قادة السلطنة ،فقد جمع الملك بادي بن رباط أحد ملوك سنار كبار أعيان الدولة وأشهدهم أن الشيخ إدريس الأرباب[2] في مقام والده ، وقد عرض السلطان عليه أن يقسم له نصف ما يجبى إلى السلطنة من موارد فامتنع الشيخ تورعاً ،ثم طلب إلى السلطان أن يكون شافعاً في كل شيء فأعطاه السلطان الشفاعة فدخل سنار واحداً وسبعين مرة في مصالح المسلمين[3].

وفي هذا ترسيخ لقيمة نشأ عليها المجتمع المسلم يقول أبو حامد الغزالي :(الملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه)[4].

وهذا الأمر الذي تتكامل فيه الأدوار وتتحد فيه المهام في تسيير شؤون الدولة وإصلاح المجتمع استفاده المسلمون من سلفهم يقول ابن عباس:(وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً)[5] والقراء: يراد بهم قراء القرآن، ويراد بهم أهل التعبد والزهد.[6]

وإحياءً لهذا المبدأ يتضح بأن توجيهات العلماء في السلطنة كانت مسموعة وشفاعتهم مقبولة وكانوا من ضمن القوى الفاعلة التي مارست نفوذا اجتماعياً كبيراً في المجتمع بسبب تقدير الناس لهم ،وليس من المبالغة بأن الطرق الصوفية كانت تمثل ركناً مهماً من الأركان التي قام عليها النظام السناري[7].

والاشارة إلى دور الطرق الصوفية في السلطنة هي إشارة لدور العلماء وجهودهم في التعليم والتزكية الروحية باعتبار أن العلماء في فترة الفونج كانوا مرتبطين مباشرة بالطرق الصوفية ولم يبدأ فصل حقيقي بين العلماء والتنظيمات الدينية الجماهيرية إلا تحت الحكم التركي

---

(1) إخلاص محمد عثمان ، الشايقية القبيلة والتاريخ، دار عزة للنشر ، السودان ، الخرطوم،2005 ص117

(2) هو الشيخ الإمام إدريس بن الأرباب كان صاحب فضل وعلم وكرم عاصر دولة الفونج توفي في العام 1650م (انظر كتاب الطبقات بتحقيق يوسف فضل حسن ص50 ، مصدر سابق)

(3) محمد النور ضيف الله ، كتاب الطبقات،تحقيق يوسف فضل ، مصدر سابق ص 60

(4) أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، ج1 ص17

(5) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) رقم الحديث4642

(6) ابن الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ،دار الوطن – الرياض ،ج1 ص110

(7) قيصر موسى الزين، فترة انتشار الإسلام والسلطنات، مصدر سابق ،ص60

المصري[1].وهذا التوافق بين السلطان والعلماء كان سبباً في إعانة السلطان وتوجيهه لما فيه خير البلاد والعباد.

وصورة العالم نفسها كانت مبنية بمقدار نفعه للغير أيضاً فقد أورد صاحب الطبقات في ترجمة الشيخ يعقوب بن مجلي أن رجلين اختلفا أحدهما يقول بأفضلية الشيخ يعقوب على الشيخ محمد بن سوار الذهب، والآخر يقول بعكس ذلك وانتهى الحال بهما بأن يحتكما إلى الشيخ دفع الله[2] فأثنا على الشيخين خيراً ثم قال: "إن الشيخ محمد أتى بقراءة القرآن في الجزيرة وعلّم التوحيد وأرشد الناس فهو أكثر ثواباً من الشيخ يعقوب ومن كان أكثر ثواباً فهو في الشرع أفضل من غيره وقد قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)".[3]

وهذه الإجابة الموفقة تدل على نضج علمي وتحمل كثيراً من الظلال التربوية وتعد صورة مشرقة في مقابل أخبار الشطحات وخوارق العادات التي استحوذت على مساحة واسعة في الروايات المتعلقة بالشيوخ والعلماء في هذه الفترة.

ومن الصور التي تعكس واقع العلماء والاحتفاء بجهودهم ما قيل فيهم من شعر ، ومما مدح به الشيخ دفع الله أبو إدريس[4]:

ملازم التدريس مدة عمره  من غير إفتار ولا كسلان

ونوازل أجاب فيها إجابة  نقلاً كما الخطاب في الإتقان

فكأنه يا ذا بصري الوري  أو كأنه بين الملا سفيـــــان

وكذلك جاء عن الشيخ فرح ود تكتوك[5] في مدح القاضي دشين قوله:

أين دشين قاضي العدالة ؟  الما بميل بالضلالة

نسله نعم السلالـــــــة  والأوقدوا نار الرسالة

وكان القاضي دشين ممن ولي القضاء في العهد السناري بمنطقة أربجي، وكان شافعي المذهب، سمي قاضي العدالة لأنه اشتد في النكير على رجل زاد في زواجه على أربع وجمع

---

(1) جون فول، تاريخ الطريقة الختمية في السودان، ترجمة محمد سعيد القدال ص 244.

(2) لم يشر صاحب الطبقات إلى من هو الشيخ دفع الله هذا، لكن تفاصيل القصة في الكتاب تدل على أنها وقعت بالحلفاية ، وقد كان الشيخ دفع الله بن محمد الكاهلي قد داوم على التدريس في مسجد الحلفاية مدة عشر سنين، انتفع بعلمه خلق كثير، فإن يكن ثمة دفع الله فلعله هو هو.(انظر كتاب الطبقات ص 210)

(3) سورة الزمر رقم الآية9

(4) دفع الله بن الشيخ محمد ابو إدريس اشتغل بالتدريس وتعليم القرآن وانتفع به أناس كثيرون ، توفي في العام 1094هـ( انظر كتاب الطبقات ص205)

(5) الشيخ فرح ود تكتوك البطحاني كان شاعراً ماهراً وصاحب حكمة وموعظة حسنة ، له قصيدة نعي فيها جميع علماء زمانه ( انظر كتاب الطبقات ص312)

بين الأختين بحجة أن النبي ﷺ أذن له بذلك في رؤيا منامية، وعندها عمد القاضي دشين إلى تصحيح وضع الرجل بفسخ النكاح الباطل وأقامه على الكتاب والسنة.[1]

وهذه المواقف مجتمعة تدل على مدى التفاعل الإيجابي والصادق تجاه العلم والعلماء وتقدير جهودهم.

**ثانيا: قيمة الاحتساب**

إن الخلوة في مسيرتها أحيت في المجتمع كثيراً من المعاني الإيمانية والقيم الأخلاقية، ومن تلك القيم الاحتساب في بذل المعروف والإحسان إلى الغير بكافة أشكاله وأنواعه تقرباً الى الله تعالى وابتغاءَ لمرضاته، وهنا يكمن الفرق بين التربية المادية التي لا تؤمن إلا بالمصالح الوقتية والنتائج النفعية وبين التربية الإسلامية التي ترى أن إسداء المعروف والإحسان للغير بدعوتهم لا بد أن يتجرّد من كونه عملاً مشروطاً بنتائجه وعواقبه، وأن يجرّد ابتداءً وانتهاءً لله وحده[2] وفي هذا يقول ابن حزم رحمه الله: (وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك أو لم يسألك ، ولكل من احتاج إليك وأمكنك نفعه ،ولا تُشعر نفسك انتظار مقارضة على ذلك من غير ربك عز وجل)[3].

ومن صور الاحتساب التي حفلت بها الخلوة في العهد السناري الأنواع التالية :-

**إ. الاحتساب ببذل الوقت**

وهذه الصورة تتجسد في الشيوخ حيث لم يكن جلوسهم للتدريس نظير مقابل مادي يحصلون عليه بل كانوا ينفقون على طلابهم مدة تعليمهم وربما امتد هذا العطاء إلى تزويج هؤلاء الطلاب إذا استمر مكوثهم في الخلوة بداعي الاستزادة من التزكية والتربية الروحية التي توفرها بيئة الخلوة [4]. وكان بذل الوقت بحسب المادة المقدمة حيث يقوم بعض الشيوخ بتدريس أكثر من مادة في اليوم الواحد.

---

(1) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات ، تحقيق يوسف فضل، ص212

(2) مجلة البيان ، العدد138 لعام 1999م ص 30

(3)ابن الحزم ، الأخلاق والسير ،تحقيق عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة. الطبعة الأولى ،عام 1988م ص 96.

(4) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات ، تحقيق يوسف فضل، مصدر سابق ص292

**ب- الاحتساب بتقديم الخدمة للشيخ والطلاب**

إن مساعدة الطلاب وتقديم الخدمة لهم تعد من محاسن الأخلاق التي كان يتمتع بها المجتمع السناري فقد كان من الشائع أن الأهالي يقومون بشؤون هؤلاء الطلاب مدة تعلمهم، وذلك من خلال توزيع الطلاب على الأسر فتختص الأسرة بواحد أو اثنين، ولا شك أن في ذلك إثراء لقيم الخير وبسط لمكارم الأخلاق، يقول أنس - رضي الله عنه : كَانَ أَخَوانِ عَلَى عهد النَّبيّ - ﷺ - وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأتِي النَّبيَّ - ﷺ - وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ للنبي - ﷺ -، فَقَالَ: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ.[1] «يحترِف» : يكتسب ويتسبب، وعلى ضوء هذا المعنى النبوي قام المجتمع السناري بكفالة طلاب العلم. ولم يكن الطالب يجد حرجاً كبيراً في تدبر شؤونه بعد وصوله إلى شيخ الخلوة بفضل إحياء المجتمع لهذه القيمة [2]

**ج- الاحتساب بتقديم المال**

من أنواع المال الذي كان يجود به المجتمع السناري في دعم الخلوة بذل الرقيق والفضة والذرة والعسل والأنعام والدواب كذلك، وتدل الوقائع أن الخلوة في بعض الحالات كانت تقوم بسد بعض الثغرات التي قد لا يتنبه لها المجتمع أحياناً كحاجة الأيتام والأرامل والضعفاء وكان هؤلاء عندما يتسامعون أن مالاً قدم إلى الخلوة يأتون للنوال ولسان حال الشيخ أبشروا وأملوا فتقضى حوائجهم وتحقق رغباتهم. وهذه خدمة أخرى تقدمها الخلوة بجانب المهمة التعليمية والتربوية التي تقوم بها.[3]

## ثالثا: تكوين قيادات فاعلة في المجتمع

إن المعرفة العلمية والخبرات الاجتماعية التي يجدها الطالب في الخلوة كانت كفيلة بتأهيله إلى الحد الذي يستطيع فيه أن يكون مؤثراً في المجتمع انطلاقاً من المهام التي يتولاها بعد ذلك ، وقد يشتغل الطالب بعد تخرجه بالتجارة والزراعة ليتكسب منها[4]. وربما رأى الشيخ في الطالب الذي تلقى قسطاً وافراً من العلوم الشرعية صفات القيادة فينصحه بالجلوس للتدريس والإرشاد في مكان ما فيذهب إليه، وهذا يعني أن معلم القرآن الكريم كان قائداً مهماً لمجتمعه فهو على دراية بالفقه عموماً ومعارف متنوعة إلى جانب تعليمه الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم

---

(1) سنن الترمذي،كتاب الزهد ،باب في التوكل على الله ، رقم الحديث 2345

(2) إخلاص محمد عثمان ، الشايقية القبيلة والتاريخ، مصدر سابق ص 118.

(3) محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات ، تحقيق يوسف فضل، مصدر سابق ص57

(4) محمد ابراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان، مصدر سابق ص30

وبعض الحساب ومسائل أخرى حسب ما يتفق ، ويقوم بخدمات لمجتمعه الصغير في مجال الإرشاد الديني العام ، والفتيا، وإقامة المناسبات الدينية، والتعاويذ والطب.[1]

**رابعا: قيمة حفظ الوقت**

إن بيئة الخلوة كانت تمثل نموذجاً حياً في ضبط الوقت والمحافظة عليه وذلك بالجدية في طلب العلم وترك الفضول والملهيات مع التوازن في العلاقات الاجتماعية، والناظر في التراث الإسلامي بصورة عامة يجد أن قيمة حفظ الوقت هذه تعد من أهم السمات التي تميز بها العلماء الربانيون . وهذا نموذج ليوم دراسي للشيخ عبد الرحمن بن إسيد[2] أورده صاحب الطبقات قال: (أول ما يفرغ من صلاة الصبح يدخل يقرا الماضي من (خليل)، بعد ما يقوم منه يدخل على ناس القرآن يصح ألواح الدرس، ثم يقرا التفتيحة في (خليل)، ثم يجوا ناس (الخرازي) و(الجـــــــزري) و(الشاطبية)، ثم يجوا ناس العقايد و (الأخضري) و (العشماوي، ثم جاءه المؤذن لصلاة الظهر، فإذا فرغ منه دخل ظهرية (خليل) ثم صلى العصر، ثم جاء أهل التجويد، ثم جاء ناس العقايد و(العشمـــاوي)و (الأخضري)، ثم جاء المؤذن لصلاة المغرب، ثم جاء لقراءة المغربية على (خليل)في راسه المتنة الواحدة يقرا فوقها سياقاً يساوي مقرا من القرآن ، ثم يجيبوا عنقريب يجلس عليه ، يعرض ناس القرآن الدارسين اثنين اثنين يقوم لصلاة العشاء فيصبر قليلا حتى يتعشى الفقرا، ثم يمسك سوطه ويجلس لناس القرآن حتى يقرا السبع ، فإذا فرغ منه قام ودخل خلوته. ويجي واحد من الطلبة شايل حزمة حطب ويوقد النار وهو يقرا، وهو يجيب محفظته وفيها ست عشر قباضة هو يتنفل والفقير يدرس لنفسه ، فإذا فرغ منها شال سوطه وتور الفقرا ناس العلم والقرآن يمحوا ويكتبوا ألواحهم ،ومحفظته في خشمها سبحة ألفية دقاقة فيشتغل بها حتى يكتبوا الفقرا ألواحهم . ثم شرع في صحة الألواح فقط حتى يجيه المؤذن لصلاة الصبح، ثم يدخل لقراءة الماضي من (خليل)، فأيام البطالة يفتي ، ويحكم، ويكتب الحجب)[3].

وهذا السرد يكشف كيفية سير اليوم الدراسي بالخلوة، وتدل هذه التفاصيل على الاستفادة القصوى من الوقت والحرص على عدم تضييعه، ولا يشكل على هذا النظام في ترتيب الوقت غياب مساحة للراحة فمن الواضح أن أوقات الراحة أثناء اليوم الدراسي تتخلل الوجبات وأوقات الصلوات.

---

(1) المصدر السابق ص 23.

(2) عبد الرحمن بن إسيد ، كان ذا علم ودين وانقباض عن أهل الدنيا جمع بين العلم والعمل توفي رحمه الله تعالى سنة 1127هـ (انظر محمد النور ضيف الله، كتاب الطبقات ص281)

(3) محمد النور ضيف الله ، كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل ص281.

**خامسا: الصبر والمصابرة**

وبما أن الحركة العلمية في المجتمع السناري لم تكن تنزع نحو الاجتهاد في تحرير المسائل العلمية لبعد السودان عن مراكز تأليف الكتب وارتفاع كلفتها على علماء السودان [1]. فإن الطالب غالبا ما يأتي على دراسة الكتاب في الفن المعين أكثر من مرة، وهذا يعني أن الأمر كان يحتاج إلى صبر ومجاهدة على التلقي فبعض الشيوخ كانت مجالسهم في التدريس والقراءة تزيد على عشر ختمات للكتاب الواحد ، وهذا يعني أن الطالب ربما مكث في الخلوة لأكثر من سبع سنوات وليس في هذا دعوة للبطالة ، ولكنها حاجة دعت إليها ظروف طلب العلم، وحرصاً على التجويد والإتقان[2] يقول أحد تلاميذ الشيخ محمد بن الفقيه عبد الرحمن بن الأغبش : (كنا نقرأ عنده الميراث في خلوات القوز نلحق سبعين طالباً مكثنا معه نحو سبع سنين ما رأينا جمجمة رأسه ،بل دايما متقنعاً)[3].

**المطلب الثاني: منهجية الخلوة في ترسيخ القيم الإسلامية**

إن المنهجية التي اتبعتها الخلوة في ترسيخ القيم الإسلامية يمكن النظر إليها من خلال محورين أحدهما نظري والآخر عملي.

**أولا: المحور العلمي:**

بالرغم من أن المنهج العلمي الذي يتم تنفيذه بالخلوة في كثير من الأحيان يكون متوقفاً على ثقافة الشيخ ومدى استعداده العلمي إلا أن الملاحظ بأن المادة التي يتم تقديمها تمثل في جملتها حصيلة معرفية وخبرات عملية مهمة للطالب، ومن خلال استقراء واقع الخلوة وما يتعلق بأدائها في العهد السناري يمكننا أن نشير الى أن المحور العلمي يرتكز بصورة رئيسة علي المواد التالية :-

1- القرآن الكريم
2- العقيدة
3- الفقه

ومفردات هذا المنهج الدراسي بصورة عامة تهدف إلى إصلاح الإنسان من خلال ثلاثة جوانب هي:-

1- تصحيح المعتقد (العلاقة مع الله جل ثناؤه)

---

(1) محمد ابراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان، مصدر سابق ص30

(2) إخلاص محمد عثمان ، الشايقية القبيلة والتاريخ، مصدر سابق ص 118.

(3) محمد النور ضيف الله ، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل مصدر سابق ص358

2- تزكية النفس (علاقة الانسان مع نفسه)

3- كيفية التعامل مع الآخرين (علاقة الإنسان مع غيره)

ويلاحظ أن القرآن الكريم يأتي في مقدمة المطلوبات الدراسية دائماً، فهو أول ما يتربى عليه الطالب باعتباره المصدر الرئيس لتكوين ثقافة مميزة ولبناء شخصية معتدلة. وتلتقي مواد المنهج العلمي مع بعضها لتحقيق هذه الجوانب الثلاث.

وإذا ألقينا نظرة على أشهر كتب الفقه التي يتم تدريسها بكثافة في مملكة سنار فإننا نجد كتاب (مختصر خليل) لخليل بن اسحاق المالكي وكتاب (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني وكتاب (متن الأخضري) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأخضري. وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نرى فلسفة هذا المنهج العلمي واضحة وحاضرة من خلال التوجيهات الإيمانية والوصايا الأخلاقية التي قيدت في مقدمة هذه الكتب.

وأشير هنا إلى مقتطفات من مقدمة كتابي (الرسالة) و(متن الأخضري)كنماذج توضح هذه الرؤية حيث جاء في مقدمة كل منهما ما يلي:-

1- **نموذج من مقدمة كتاب الأخضري:**

يقول عبد الرحمن الأخضري:(أول ما يجب على المكلف: تصحيح إيمانه ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه كأحكام الصلاة والطهارة والصيام. ويجب عليه أن يحافظ على حدود الله ويقف عند أمره ونهيه ويتوب إلى الله سبحانه قبل أن يسخط عليه)[1]

2- **نموذج من مقدمة كتاب الرسالة :**

يقول بن أبي زيد القيرواني:(أما بعد) أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الآداب منها وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وطريقته مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك من تفسير الراسخين وبيان المتفقهين لما رغبت فيه من تعليم ذلك الولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله أو دعا إليه)[2].

---

(1)أبو زيد الأخضري، متن الأخضري ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، ص2

(2) ابن أبي زيد القيرواني ، متن رسالة القيرواني، دار الفكر، ص 2

**ثانيا: المحور العملي:**

يقوم منهج الخلوة في محوره التطبيقي بتكوين الطلاب تكويناً سليماً يؤهلهم لحياة عملية جادة تتسم بالعطاء، ولذلك لم يقتصر منهج الخلوة على التحفيظ والتلقين بل شمل جوانب أخرى يكتسبها الإنسان من خلال الآتي:-

1- العمل الجماعي: وتتجلى مظاهره في كثير من تفاصيل اليوم سواء في أداء الصلوات أو تناول الوجبات.
2- الاشتراك في تنفيذ بعض المهام مما يؤدي إلى تعزيز قيمة التعاون على البر والتقوى الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من التقارب والتفاهم بين الطلاب . ومن خلال هذه الجزئية أيضاً ربما وقف الطلاب على تفاصيل بعض الأحداث الخاصة بعملية التوجيه والإصلاح التي يقوم بها الشيخ وذلك عندما يحرص الشيخ على أن يكون الطلاب جزءً مكملاً لجهوده التي يقوم بها وبالتالي تتعزز ثقتهم في نفوسهم باكتسابهم لخبرات ومهارات أثناء حفظهم.[1]
3- التنافس: والحفظ في الخلوة قائم على التنافس وهذا بدوره يوجد نوعاً من الاجتهاد والمثابرة فرؤية الذين احرزوا نجاحاً وتقدما في التحصيل يدفع بالأخرين للتفوق والحرص على التعلم والصبر عليه.

وهذا يؤكد أن الخلوة على الدوام ظلت وفية في الحفاظ على ثقافة الأمة وثوابتها، انطلاقا من العمل بهذا المنهج .

(1) محمد النور ضيف الله ، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل ،مصدر سابق ص96

**الخاتمة**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلــه وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد اشتملت هذه الدراسة على جهود الخلوة السودانية في ترسيخ القيم الاسلامية مملكة سنار (نموذجاً) أشرت فيه إلى ملامح من تاريخ الخلوة القرآنية ومسيرتها بالإضافة إلى ذكر المعالم المنهجية في ترسيخ القيم الإسلامية من خلال منهج الخلوة ، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات يمكن الإشارة إلى أبرزها:-

**أولا: النتائج:**

1- أسهمت الخلوة في إثراء الثقافة الدينية وترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع السناري
2- خرجت الخلوة أجيالا من العلماء الذين حملوا راية الاشعاع العلمي والحضاري بالبلاد.
3- حظيت الخلوة برعاية كريمة من قادة مملكة سنار وذلك من خلال التوافق الكبير بين العلماء وقادة السلطنة
4- لم يقتصر دور الخلوة على تحفيظ القرآن الكريم فقد كان المنهج الدراسي يشتمل على تدريس بعض العلوم الإسلامية
5- من المهام التي كانت تقوم بها الخلوة مساعدة الفقراء والضعفاء فقد كانت ملاذاً لسد الحاجة
6- أرست الخلوة كثيراً من القيم الإسلامية بالمجتمع السناري كالتكافل والتعاون على البر والتقوى.
7- أحيت الخلوة في النفوس حب العلم والترغيب في الرحلة لطلبه
8- صارت الخلاوى مراكز إشعاع ديني وعلمي يتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء السودان
9- رفعت الخلوة من المستوى الاجتماعي لخريجها الذين قاموا بسد كثير من الثغرات وقد أفاد المجتمع منهم بصورة كبيرة.

**ثانيا: التوصيات:**

1- الاهتمام بالخلوة وتمكينها من أداء رسالتها ففي ذلك إثراء للثقافة الدينية وترسيخ للقيم الإسلامية
2- الاهتمام بخريجي الخلوة لدورهم المتعاظم عبر التاريخ في حمل راية الاشعاع العلمي والحضاري بالبلاد.
3- العمل على تطوير منهج الخلوة ليواكب مستجدات العصر
4- ترغيب الناشئة في الالتحاق بالخلوة من خلال تحسين البيئة والاستعانة بالوسائل التعليمية التي تحببهم إليها .

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم

1. ابن أبي زيد القيرواني ، متن رسالة القيرواني، دار الفكر
2. ابن الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ،دار الوطن – الرياض
3. ابن الحزم، الأخلاق والسير ،تحقيق عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة. الطبعة الأولى ،عام 1988م
4. أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت
5. أبو زيد الأخضري، متن الأخضري ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر
6. أبو شفعة مفتاح علي الطرشاني، السلطنة الزرقاء في السودان الشرقي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية غير منشورة 1998 .
7. أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوطة كتاب الشونة، تحقيق الشاطر بصيلي، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي
8. أحمد علي الإمام ،الخلوة والعودة الحلوة، شركة مطابع السودان للعملة
9. إخلاص محمد عثمان ، الشايقية القبيلة والتاريخ، دار عزة للنشر ، السودان ، الخرطوم،2005
10. الأعلام ،الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر،2002م
11. جون فول، تاريخ الطريقة الختمية في السودان، ترجمة محمد سعيد القدال ص 244.
12. خير الدين الزركلي ، الأعلام، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر 2002 م
13. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، الأعلام، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر ،مايو 2002م.
14. سنن الترمذي، كتاب الزهد ،باب في التوكل على الله ، رقم الحديث 2345
15. شمس الدين الذَهَبي ، سير أعلام النبلاء الناشر : مؤسسة الرسالة
16. صحيح البخاري ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري دار الشعب - القاهرة
17. الطيب محمد الطيب ، المسيد ، دار جامعة الخرطوم ،1991م
18. عبد القادر عثمان محمد ،العلاقات السودانية المغربية رؤية من خلال المذهب المالكي، الندوة العلمية الدولية للإمام الباجي ، السودان – الخرطوم – شوال 1435هـ - الموافق أغسطس 2014م.
19. عبد الكريم بن محمود الخطيب، تاريخ جهينة َالطبعة الثالثة : 1418هـ
20. عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان

21. علي أحمد محمد بابكر ،أعلام وأيام ،الطبعة الأولى 2000م ،دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر.
22. عون الشريف قاسم، حلفاية الملوك التاريخ والبشر، دار جامعة أم درمان الإسلامية، الطبعة الأولى ، 1988
23. فاطمة أحمد علي ، منطقة مروي المظهر والجوهر
24. قيصر موسى الزين، فترة انتشار الإسلام والسلطنات، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان الأهلية
25. مجلة البيان ، العدد138 لعام 1999م ص 30
26. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.
27. مجلة دراسات أفريقية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية
28. محمد ابراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت 1992
29. محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1427 هـ
30. محمد النور ضيف الله، كتب الطبقات، بتحقيق يوسف فضل حسن، ص 4،ط الخامسة،2012م الخرطوم ، السودان.
31. مصطفى الرافعي ،الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م
32. مصطفي محمد سعيد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية،1960م
33. وزارة الإرشاد والأوقاف – جمهورية السودان الأوراق العلمية للملتقى الدعوى الرابع للوزراء المختصين بالدعوة يناير 2011م، ص5.
34. يوسف الخليفة أبوبكر، بحث (دور الخلوة في التعليم الأساسي) المقدم في مؤتمر سياسات التربية والتعليم ، قاعة الشارقة – الخرطوم، 1990.
35. يوسف فضل حسن، تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، معهد البحوث والدراسات العربية 1971م